

النقد والتميز العراقي الحديث

بقلم عبد الجبار داود البصري

- ١ -

الدعة والراحة ، حتى كانت العصور الحديثة فوقف العقاد والملازني وطه حسين يهاجمون شوقي والرافعي والمنفلوطي وغيرهم . ونأمل ان يحمي ويطيس معركة الشعر الحر .

والروافد التي يتكون منها مجرى النقد العربي المعاصر تنقسم الى روافد غربية ، وروافد عربية قديمة . وتأثير الروافد العربية يتضاءل شيئاً فشيئاً ويعتق النقاد المبادئ الغربية شيئاً فشيئاً . ونستطيع القول بان روائع النقد ترجمت الى العربية من كل مكان . فمن ايطاليا ترجم الدروبي فلسفة كروتشه في الفن ومن فرنسا ترجم مندور منهج البحث في الادب للانسون ، ودفاع ديهاميل ، وترجم الدروبي آراء جوبو في فلسفة الفن المعاصرة ، وترجم بديع الكسم الخلق الفني لغاليري . ومن انجلترا ترجم محمد عوض محمد قواعد ابركرومبي في النقد الادبي ، وترجم زكي نجيب محمود فنون الادب لتشارلتن ومقدمة وردزورث . ومن امريكا ترجم رشاد رشدي نقد سينجارجن الجديد . . ولا اريد ان اظيل هذه الاحصائية لانها مهمة الاخرين .

ولقد تصدى النقد للشعر العراقي الحديث في جميع مراحلها ، واخترت رأياً واحداً من كل قطر عربي وجد فيه نقد محترم ، ولا اريد من وراء هذا الاختيار الا التنوع ، مفضلاً الناقد الذي تناول اكبر عدد من الشعراء ، متجاهلاً نقد الشاعر للشاعر لسهولة الطعن فيه ، مع علمي ان هذا لا يعني انعدام النقد النزيه .

وينقسم الصراع بين النقد وشعر العراق الحديث الى ثلاثة اطوار : في الطور الاول تغلبت عليه النزعة التاريخية ، وفي الطور الثاني تغلبت النزعة التجزئية ، وفي الطور الثالث لم تكن العلاقة بينهما الا اشارات نقدية .

- ٢ -

يمثل النزعة التاريخية : خير الدين الزركلي ، وجرجي زيدان في مصر ، ولويس شيخو في لبنان ، ومحمد مهدي البصير في العراق .

فخير الدين الزركلي نقد شعراء القرن التاسع عشر بطريقة القاموسية المعروفة التي تعني بتحقيق الاسم وتاريخ الولادة والوفاة وتعداد المؤلفات وقلة الاحكام . وعناصر الطرق القاموسية هي التعريف ، وتجميع الاخبار ، والاكتفاء بالخطوط العريضة ، وقد يضيف المؤلف رأياً او يستشير آراء الآخرين .

فمن آراء الزركلي في السيد حيدر الحلي : « شعره حسن ، وكان مترفعاً به عن المدح . » وهكذا يفصح عن جهل بمحتويات ديوانه وماجريات حياته : فقد مدح آل كبة وآل قزوين وكانوا يكملون ايراده الضئيل . . . ويؤخذ على الطرق القاموسية في التأليف قلة معلوماتها وقلة اهميتها كمصادر .

اما جرجي زيدان : فتطرق الى شعراء العراق وهو يفتش بالحاح عن مشاهير الشرق وكانت طريقته اشبه بالسير ، تبدأ بالنسب

الطاحونة كلمة ارادها برنارد شو اسماً للنقد الادبي اذ سئل ان يكتب مقدمة لمسرحية ما فقال لسائله : « خير لك ان تمر خلال الطاحونة كما كان شأننا . »

والنقد الادبي هو الكفة التي يقابلها من الجهة الاخرى فن الادب ولا يزدهر الادب اذا تعطلت احدى كفتيه . وكما يدخل تحت لفظه « فن » الادب والشعر والرواية والاقصوصة والمسرحية والمقالة ، كذلك تشمل لفظه النقد على معان كثيرة ويميل البعض الى ان يقصر مدلول النقد على معنى واحد من هذه المعاني . اما انا فاميل الى توسيع افق النقد بحيث يشمل : تصحيح الاخطاء المتنوعة ، والتاريخ الفني للادب ، وتحقيق الآثار والمؤلفات القديمة ، وتقييم الانجازات الادبية من ناحية القبح والجمال ، والموازنة والادب المقارن ، ووصف الانتاج الادبي ، وتحليله ، وتفسيره ، والمحاولات الفقهية التي ترمي الى التفتين والتشريع .

وبالنسبة لهذه المعاني يتنوع اسم النقد ويتفرع . . . ويبدو النقد في تاريخنا الادبي العام على شكل سلسلة من المعارك :

اولاها المعارك السوقية التي كانت تنشب بين الشاعر والناقد ، وموضوعها احكام جزئية وتعليقات من قبيل التجريح او الاطراء . واشهر ابطال هذه المعارك الدائرة في الاسواق الموسمية النابغة الذبياني الذي ضربت له قبة من آدم .

ثم تلتها بعد تطور الزمن معارك الطبقات التي انتهت بكتاب ابن سلام الجمحي ، وكانت معارك تنافس بين رواة الشعر على روايته ، وتنافس بين اللغويين والنحويين لتحديد فقه اللفظ ، وتنافس بين العريضة والاجناس الاخرى للدفاع عن اصالتها ونقاها .

حتى اذا جاء القرن الثاني للهجرة كانت المعركة بين الشعراء انفسهم تزعم فيها المتجددين ابو نؤاس وعده المرحوم طه ابراهيم ناقداً فذاً ، ناقداً وحيداً في تاريخ النقد الادبي ، ناقداً يبحث في الصلة بين الادب والحياة ويحاول ان يلائم بينهما .

والى هنا كانت المعارك خارج النقد بين الشاعر والناقد ، وبين الناقد واللغوي ، وبين الراوية والنحوي ، وبين الشاعر والشاعر .

ثم تحولت المعارك داخل النقد وبين النقاد انفسهم . . . فكانت معركة عنيفة اتخذت البحرني وأباً تمام محوراً ، وانقسم النقاد في امرها حتى كتب الامدي موازنته المشهورة التي اعتبرها الدكتور محمد مندور فريدة في النقد العربي .

واندلج لهيب معركة كبرى بين النقاد اتخذت المنبني موضوعاً لها . واروع الانجازات التي خلفتها المعركة الوساطة بين المنبني وخصومه بقلم عبد العزيز الجرجاني وتعتبر هي والموازنة اعظم واكمل مظاهر النقد المنهجي عند العرب .

ثم سيطرت الشكلية وهذات حركة الصراع ، وركن الناقد الادبي الى

يمكنه ان يقفز الى القمر بدون شك ، لو كنا مختلفين عما نحن وكان العالم مختلفا عما هو . . . ولكن الحقيقة اننا لم نقفز الى القمر . . . »

ومن هذه المقاييس الخاطئة الدفاع عن الشاعر قياسا الى اقرانه لان لصوعية زيد لا تنتفي بمجرد وجودها عند عمرو ، وان قبح فلانسا لا يتحول جمالا بمجرد وجود القبح في فلانة . . . يقول البصير عن الحلبي: « ان هذه المبالغات لا تمت بصلة الى ما يسمى شغورا او عاطفة ، ولكن يجب ان نذكر ان التقاليد الادبية السائدة في عصر المترجم كانت ترضى هذا وتقره بل تستجده وتستحسنه وان هذا موجود في رثاء شوقي والزهاوي رغم تجددهما . »

ومن هذه المقاييس الخاطئة اعتبار التقليد سببا في الروعة حيث يقول عن الاخرس « الا انه يصدره احيانا بنظرات فلسفية رائعة ينحو فيها نحو ابي العلاء ، وابن السبيل البغدادي في ذم الدنيا . . . الخ » . ويلاحظ ان هؤلاء النقاد لم يؤثروا في شعر القرن التاسع عشر في العراق لانهم كتبوا تقدمهم عن بعد في المكان والزمان ولم يكن هناك تماس . ورغم تعدد اساليب النقد غلبت على اغلبهم روح المؤرخ ولم يكونوا نقادا حاولوا تأريخ الشعر . ويلاحظ ان كل تقدمهم لم يعن بالمحتويات وتوجيه القارئ على الاقل الى النواحي الشعبية ، والفكر المتحرر ، والوعي الصادق ، بل لم يوجهوه الى مصادر الخصب الفني ولم يدلوه على مواطن التائق والجمال . ويلاحظ ان هذا النقد عرفنا بالشعراء واكبر شأنهم وشاعت اسماؤهم ولكنه لم يعرف الناس بأدبهم وفنهم . وما زلنا ننتظر من يمسك قلمه بشجاعة ليحطم الانقاض ويستخرج الكنوز ان وجدت .

ويجب ان نعترف بان هؤلاء النقاد ادوا بعض ما عليهم وانهم يستحقون تقديرا وشكرنا ، ولولاهم لاصبح طريق النقد مظلما خاليا من المصاييح ومن آثار الخطى .

— ٣ —

وحظيت مدرسة الرصافي واخوانه المكافحين بفسط وافر من النقد الفني اذ تصدى لهم نقاد كبار وكثيرون في الوقت نفسه . . . ومن المؤسف ان نظرهم الى الشعر العراقي كانت تجزئية تهتم بالجزء وتتناسى الكل .

ويمثل النقد التجزئي روفائيل بطي من العراق ، والدكتور شوقي ضيف من مصر ، وابراهيم العريض من البحرين وأمين الريحاني من لبنان ، وهناك غيرهم كالعقاد ومارون عبود ، والسحرتي ولكننا بصدد التمثيل لا الاحصاء ولكل دوره .

فروفائيل بطي اهتم بالنقد الموحى به عن طريق المختارات المتميزة ولم يكن بدعا في تاريخ النقد ، فان اكثر شعراء العربية اذيعت اسماؤهم واشتهروا في الافق الادبي عن طريق المختارات الجيدة التي تقدمهم الى القارئ او السامع بأجمل ملامحهم وارقي نماذجهم فكان الاختيار بمثابة اطراء وتمجيد ضمني . وتبدأ طريقته بالاشادة والاطراء ، ثم تأريخ الحياة الموجز وذكر المؤلفات تتبعها مختارات كثيرة لكل شاعر . وعناصر هذا الاسلوب هي انصالة الشخصي بهؤلاء الشعراء واطلاعه القريب على مؤلفاتهم المطبوعة وغير المطبوعة . ولهذا النقد ميزات منها : استنتار الرأي الشخصي مما يدعو الى هدوء حدة الروح الدرامية في النقد واذا هدات حدة الروح اقبل على الانتاج حتى القارئ المحايد الذي كثيرا ما تجنب حلبات الصراع . ومن عيوبه رفع الشاعر الى منزلة لا يستحقها

وتاريخ المولد والوفاة وتعداد الوظائف ورأي في شعره ومختارات قليلة منه . وتعتمد طريقته على النقل والاقتراب بالدرجة الاولى والتأريخ والاختيار ، والخبر والتعريف . ويفيد اسلوب السيرة في النقد معرفة الملامح الشخصية ، واستنتاج المؤثرات السيكولوجية في الفن الى حد ما . اما توجيه القارئ فلا يعبا به .

واكتفى زيدان بدراسة الفهم وكل ما اورده من آراء يمتاز بالبساطة والسداجة ويتجنب العمق في التحليل والتفسير . فمن آرائه في العمري: كان رحمه الله شاعرا مجيدا ، قوي البديهة ، سريع الخاطر ، متفنا في شعره ميلا الى التصوف ، محبا لعلماء عصره وأدبائهم ، بارا بهم وبغيرهم اكثر الاحيان .

وتناول لويس شيخو اليسوعي شعر الاخرس واضرابه باسلوب صحفي فاشل تقريبا يهتم بتاريخ الولادة والوفاة وذكر المؤلفات والشواهد على ما يقول . وعناصر هذا الاسلوب : التعريف والتعليم ، والجريان السريع ، وقلة الاختيار الشعري الذي يؤتى به لتمثيل النوادر وامتناع القارئ في اكثر الاحيان .

وقد دفعته نزعة الصحفية الى المبالغة المتناقضة . فهو ينقل رأيا يستشهد به ، ونقل الرأي كشاهد يشترط الايمان به ، ان صاحب المسك الاذفر قال كانت الى الاخرس النهاية في دقة الشعر ولطافتسه وحلاوته وعذوبته . ثم قال المؤلف عن عبد الباقي العمري : ولد في الموصل وانتهت اليه رئاسة الشعر والادب في وطنه . ولكن اهم نقد وجه الى شعر القرن التاسع عشر ما كتبه الدكتور محمد مهدي البصير - وستلد المطبعة نقدا جديدا ليوسف عز الدين نحن في انتظاره -

والدكتور البصير قريب الصلة المكانية والزمنية بموضوعه وطريقته هي الوحيدة التي تمثل النقد الفني بين ما قرأته : فهي منظمة الى حد بعيد تبدأ بالحديث عن الحياة ، ثم تحليل الديوان تحليلا ظاهريا ، ووصف كل باب من ابوابه مع الاطالة في عدد ابيات الشواهد .

وعناصر هذه الطريقة : التاريخ والتحقيق ، والتحليل والوصف ، والتدقيق والتقييم ، والموازنة والتصحيح ، ويؤخذ عليها انها تستعمل مقاييس نقدية خاطئة .

ومن هذه المقاييس اعتبار الناحية الخلقية ، والتعقيد ، والفموض مقياسا للشعر القيم المهم . . . فهو يقول عن الحبوبي : « ومما يزيد في اهمية رثاء الحبوبي ويكسبه قيمة الى قيمته وخطرا الى خطره هذه الخطرات الاخلاقية العرفانية التي يخلق بها من حين الى حين في جو التصوف فيتكلم لغة قلما يفهما الاخرون ويعبر عن مشاعر وخواطر لا يتيسر ادراكها لكل احد . . . »

ومن هذه المقاييس التعظيم عن طريق النسبة الخاطئة الى الاخرين كقوله : لو قدر للحلي ان يقرأ روسو وغوته ، وشاتوبريان ، لترك لنا آثارا لا تقل عن آلام فرتر ، وتاملات لامرتين ، وليالي موسيه حدة شعور وقوة عاطفة ومراة ألم . . . »

وهذا خيال ونحن نريد الواقع ، والواقع انه لم يؤلف كالاتمواتاملات والليالي . ومن مظاهر الهروب من عملية التحقيق والدراسة الدقيقة الانتحاء الى هذه النسبة الخاطئة .

ومن اقوال ا . ت . بل : « انه لا معنى لان نقول ان فلانا كان يمكنه ان يقوم بكذا وكذا لو ان الظروف كانت غير الظروف ، فاي فرد

واظهاره في اعين الناس ولا سيما الشبيهة الناشئة كأحد انصاف الآلهة، وفي بذور هذه التربة نبت بذور العصبية الادبية التي تحجر الافكار وتبت الالغام في حقول الادب .

فمن آراء بطي في شعر الزهاوي التي تدعو للمناقشة قوله : امسا شعره فمن اعلى طبقات الشعر العصري لا تجد فيه تعقيدا او الفاظا غريبة تغلب عليه الحكم والامثال مع جزالة في اللفظ ومنانة في الاسلوب ... الخ .

وأخرج الدكتور شوقي ضيف اضمامة من دراساته في الشعر العربي المعاصر وخطته ان يقسم الكتاب الى فصول خص العراق منها بفصلين : الاول عن الرصافي فسر في مقدمته معنى الانسانية وتحدث عن تطورها في الادب العربي ثم حائل المظاهر الانسانية عند الرصافي بكل بساطة اذ لا يبدو ان يكون مجموعة قصائد مستقلة من الديوان روى الدكتور بعضها نثرا وروى بعضها شعرا . والثاني عن الزهاوي استعرض فيه تاريخ النظم العلمي عند العرب وفارته بما عند الاجانب ثم استعرض الشعر العلمي عند الزهاوي بأنواعه وعقب عليه تعقيا جميلا جدا يحتوي على كثير من الآراء الصائبة كقوله : « كنا نتمنى ان يتحول العلم عنده الى مشاعر وأحاسيس أما ان يستمر على نحو ما استمر عنده حقائق وفوائن تقرر فان شعره يبدو متعلقا بأشياء غير ثابتة ، اشياء من طبيعتها التغير وانها لا تبقى ولا تدوم فسرعان ما تنمحي وتزول ... »

وعناصر هذه الطريقة : التفكير التاريخي ، والدرس والتحليل ، وكان الكتاب جيدا في خطته العامة وناجحا اذ استطاع ان يعطي لنا صورة طيبة عن الشعر العربي المعاصر بجميع مظاهره : المادة التصويرية، الوطنية، الشعور الحاد بالآلم ، الموضوعات اليومية ، العلم ، اللذة الصاخبة ، الروح الملحمية .

اما اعتبار كل فصل نقديا فرديا ذا كيان مستقل فيؤخذ عليه التحيز في تطبيق المفاهيم كان يبحث الانسانية عند الرصافي ويهمل قصائده العلمية التي تصدر ديوانه ، او ان يعيب العلم في شعر الزهاوي ويهمل الجوانب الانسانية وهي عنده ارقى وأكثر وأشمل نظرة مما عند الرصافي .

وعليه فالشعراء الذين اختار جانبهم الرديء ليسوا كذلك في كل شعرهم ، والشعراء الذين اختار جانبهم الطيب ليسوا كذلك في كل شعرهم ومن الاجحاف ان نستغل آراء الدكتور للحط من سمعة شاعر ما .

وبحث ابراهيم العريض في الاساليب الشعرية ، وكانت خطته تفسيم الشعر من حيث هو احتفال بالحياة الى كشف وتوجيه وتمثيل واغراء وترجيع ولكل قسم فروع ... وخطه كل فرع بدأ بفكرة ثم تتبعها الشواهد الشعرية المرتبة ترتيبا تصاعديا ، ثم تعقيب يبين طابع الاسلوب الفتي وقيمته وتسمية هذا الاسلوب .

وعناصر الطريقة التي اتبعها العريض : التحليل والتصنيف ، الترتيب والتاريخ ، ومحاولته ناجحة في مجالها العام لانه يعرفنا بأنواع الاساليب ويظهر قوانينها . ولكن اعتبار رأيه في شاهد من الشواهد رأيا عاما يتسع لكل شعر الشاعر فهذا خطأ لا نقره ولا سيما بالنسبة لشعراء العراق .

كتب عن أسلوب الشاعر كسمير : « أسلوب ملون .. طالما سامر به الشاعر اخذانه في ساعة هادئة من الليل وربما تحول بين ايديهم الى مهرج او مشعوذ يروح عنهم بأباطيله واخيرا على هذا النسق قول محمد

مهدي الجواهري - وأورد من قصيدته على كرنند - وعقب على ما استشهد به : - ان في هذا الاسلوب من اثر الفن طابع اللوحات الزيتية ينفرغ لها الشاعر بريشته والوانه في رسمها افانين .. يلتقي طرفها الاول عند التصوير ويضع طرفها الآخر في البهجة وفي الحالين لا يعدو الشاعر الفنان في صدقه ان يكون سامرنا في الليل يسلينا او في تزويقه مشعوذا في نهارنا يسلينا » .

فهذا الرأي مخالف لواقع عبقرية الجواهري تماما لان الرأي الذي ذكره - وان كان لا ينطبق على الجواهري وحده في مجال البحث - جزئي يقوم على اساس شاهد واحد وشاهد ينسم بطابع الشنوذ عن انجباء الجواهري العام وينسب الى بواكير اعماله الشعرية سنة ١٩٦٦ .

ان الجواهري لا يتصف بالسحر والشعوذة ولا يمكن ان نصفه بهذا . انه شاعر آمن بالواقع وكتب شعره لهذا الواقع ومن الصب ان يسمى الشاعر الواقعي العنيف في واقعيته مشعوذا يسلي في النهار . ولا أشك ان اقوى نقد وجه الى شعراء ما بين الحربين ذلك البحث القيم الذي كتبه امين الريحاني في « قلب العراق » .

انه يمتاز بسمات عديدة منها : - تصدير النقد بمفاهيمه وآرائه ، ومنها اقامة احكامه على اساس من النوق الذي صقلته الحضارة والثقافة العميقة ، ومنها الحماسة في سرد الآراء ، والثقة والحذر الشديد ، ومنها طابع الخلق والابتكار فهو مثلا يحاول ان يبتكر تنمة للملحمة الزهاوي ... لقد كان نقده نقدا خلافا . وطريقته في النقد تبدأ بمقدمة تشتمل على استعراض المفاهيم والمفاهيم الجديدة في الشعر وتحدث عن الزهاوي فالرصافي فالشبيبي فالنجفي . وعناصر الطريقة : التأثر الشخصي عن طريق المقابلة ، والدراسة والبحث ، ومحاولة في التذوق والتحليل ، وطبيعة نقدية خلافة ، وروح شاعرية واعية . وعلى الرغم من اهتمامه بجزء من كل شاعر : تكلم عن الرصافي والمرأة ، وعن ملحمة الزهاوي ، وعن نفسية الشبيبي ، وعن مظهر النجفي الجماني . فانه لم يفصل النواحي الاخرى ولم يقتصر على ذكر الحسنات بل ذكر اشياء يغفلها الموالون دائما كبداءة الرصافي ، وتناقض صور النجفي مع اعجاب به بشعر هذا الطائر الغريب الذي له منقار البومة وجانح الهدهد وذنب الطاوس .

ولقد نبأ الريحاني بالحركة الجديدة في الشعر العراقي اليوم حسي كانه درس ما كتب اليوم وكون صورة تامة كاملة عن شعرنا المنطلق اذ قال: ولكن في الشعر العربي آثارا للتطور ظاهرة وان كانت لا تزال ماثمة او منقلبة او ضئيلة وما أمر تبلورها وانجاهها الثابت بعيد ومما لا ريب فيه أن هذا التطور سيشمل المباني والمعاني والاشكال الوصفية والوجدانية وعندئذ يقرأ المتأدب العربي الشعر الأوربي ويستسيفه...» ومن المآخذ عليه مثاليته المستحيلة حيث ينعي على الشعراء « في العالم العربي لا في العراق ولا في سوريا ومصر فحسب عدم وجود لغة جديدة للشعر باجمعها بمبانيها ومعانيها ، باساليبها وفنونها باغراضها ومصادر وحيا . »

ان مثل هذه اللغة لا توجد في كل مكان وما وجدت ولا توجد ومن العبث ان نطلب من شعرائنا المستحيل .

يقول لانسون : اكثر الكتاب اصالة هو الى حد بعيد راسب من الاجيال السابقة ويؤره للتيارات المعاصرة وثلاثة ارباعه مكون من غير ذاته . «

ويقول ت.س. البيوت : ان احسن ما كتب الشاعر واكثره اصطفاغا باللون الفردي هو الجزء الذي يثبت فيه اسلافه من الشعراء وجودهم ويحققون خلودهم ولا اعني به الجزء الذي كتبه الشاعر في دور المراهقة» ويلاحظ - اخيرا - ان النقد اولى شعراء ما بين الحربين عناية فائقة وكثر الحديث عنهم ولاسيما الكتابات التي تناولت الافراد ...

ويلاحظ ان هذا النقد رغم تجزيئته افاد الشاعر كثيرا لانه وجه الانظار اليه وعرف الناس بشعره وتعصب الشبان تصعبا عقائديا حتى عد من السخف قراءة نقد للرصافي يكتبه شاب حديث العهد مع احتمال اتهامه بالفرضية وسوء الظن.

ويلاحظ ان هذا النقد اكثر اصالة وفنية من النقد التاريخي السذبي اهتم بالمدرسة المهرجة في القرن التاسع عشر واكثر احكامه صادقة لانها منبثقة عن مقاييس جيدة وموازين عادلة والعيب الوحيد اهتمامه بالجزء .

— { —

اما موقف النقد من الشعر اليوم فهو مجرد اشارات ، وليس مسن السهولة ان نجد نقدا تفصيليا ناجحا لان الصعوبات التي تعترض ناقد الشعر اليوم كثيرة اولها حداثة هذه المدرسة ، وليس من السهولة ضبط حركاتها وتقلبها المستمرة ، ونموها المطرد وتطورها السريع ، وغموض المدرسة وتكتم اصحابها يجعل البحث عن اصولها مهمة شاقة ويوقف الادب المقارن منتظرا وقد يطول الانتظار ، كما ان تفرق الانتاج في الصحف والكراسات المهمة في الزوايا او النافذة لقله عدد المطبوع يجعل الامام بهذا الانتاج امرا عسيرا ... وبالتالي لا تكون دلالة حاصل الجمع الا دلالة جزئية ولا تعدو ان تكون مجرد دراسة عينه لم تنتخب بالطرق الاحصائية العلمية المعروفة .

وعدد الشعراء في تضخم وتقلص كاصابع الاخطبوط فما تكاد نصفق لشاعر حتى نجده بعد حين يهتريه الخمول والذبول ، ثم ينبغ شاعر اخر في مكان جديد . وهذه الحركة تجعل مهمة الناقد في الحصول على القمم شاقة وربما تعرض الى هجوم عنيف بسبب اهماله شاعرا وانحيازه لشاعر .

وان اغلب من تصدوا لدراسة الشعر العراقي اليوم كانت مقاييسهم ذاتية خاصة بسبب الصداقة ، او سهوله الحصول على المؤلفات ، او التعاون الحزبي وغيرها .

والاشارات النقدية اليوم كثيرة نظرا لكثرة الانتاج ، حتى ان كل قصيدة تنشر في (الاداب) مثلا تجد في عدد تال نقدا لها ثم ردا على نقد وربما كان بعضها موضع استنفاء . وهذا يجعل الاحاطة بالنقد اليوم امرا يتطلب مجهودا جماعيا على الاقل ، ومن الممتع جدا ان نجد نقدا يساهم مع العناصر الخيرة المحبة للبشر في معركة البقاء والحرية .

ومن اهم الاشارات النقدية ما كتبه مارون عبود من لبنان ، والسحرتي من مصر ، واحسان عباس من السودان ، والدكتور جميل سعيد من العراق وغيرهم .

والمعروف عن مارون عبود انه يتبع طريقة عشوائية خالية من النظام والتحليل والترتيب وانما هي تعليقات ومحاولات لاضحالك القاريء ، واهتمام بالنقاء الشكلي ، واعني بالشكل معنى اكبر من المبني المتفق عليه .

وعناصر هذه الطريقة هي قراءات عابرة في الشعر ، وتصيد للخطأ اللغوي من هنا وهناك .. ويؤخذ على هذه الطريقة اهتمامها بالقشور دون اللباب كما انها لا تعني بالتوجيه ، واكبر الادلة على فشلها تلك المحاولات التي لم تنقص من قدر بشارة الخوري والرصافي والجرايري قلامة ظفر.

ومن المفيد ان ننتقل بعض ما كتبه مارون عبود عن بلند الحيدري : « ... ديوان بلند في الجملة عاصفة شباب ، بقله شمس لا تؤخذ من قبل ولا من دبر .. فالي الد.د.ت. يا سيد بلند وارحنا وارح ديوانك من لفة اكلوني البراغيث » ومثل هذا النقد مصيره الاهمال لانه لا يناقش ولا يرد .. الناقد قوله بقله بانه عنزة ام نقول كان الافضل ان يضع كلمة - امشي - بدل د.د.ت. .. ومن العجيب ان بلند الحيدري يفخر بما قاله مارون ! ..

ورغم قلة ما كتبه عن « شظايا » نازك ورمادها فقد وردت هذه العبارة العميقة جدا « قد رأيتها في ديوانها الجديد تتجه نحو الرمزية اتجاها عينا فهب انها وفقت في بعض خطراتها فاني اخشى عليها شر التطرف في الشعر والفكر والتصور والتصوف . »

انني احبي مارون عبود كاحد ابناء الجيل الجديد لان واجب الجيل الجديد ان يحترم اسلافه وان يقدم لهم باقات الورد كلما حل عيد الميلاد. والى مصطفى عبد اللطيف السحرتي بحونا متفرقة تجمعها رابطة النسب النقدي فقط ، حاول في بعضها تقنين مفاهيم شعرية وفي بعضها الاخر تحليل مبادئ ومذاهب ادبية كما درس النقد واتجاهاته في الادب المصري الحديث . وكانت عناصر طريقته : اختيار نماذج شعرية ، وتحليل بعض الافكار وتوسيمها وترجمة آراء ونصوص ، وملاحظات في القطع المختارة ... ويؤخذ على بحوث التقنين ، تقديم القاعدة على المثل ومن الفضل في استخراج القواعد والنظريات والاساليب الاستنتاجية لا الافتراضية التي تعتمد على وجود فرضية في البدء .

وليس من مصلحة الشعر العراقي ان ننفي ما اورده . لانه في جميع اشاراته كان مادحا مكبرا فيهم النواحي الفنية فقد اكبر موسيقى بدر السياب الارتكازية ، وحدة الانفعال الشعري عند نازك الملائكة .

و «فن الشعر» لاحسان عباس يجري على النسق التالي : تطور النظرية الشعرية ، اسس الاختلاف بين المذاهب الشعرية ، فصل في نقد الشعر . وفي طور من اطوار النظرية الشعرية وردت اشارات الى الشعر العراقي اليوم ينعت فيها البياتي وبلند الحيدري والونري ونازك والمحسروق بالرومانطيقية ويبدو في ظاهر القول حق كبير ، ولكن الخطأ يبدو في اعتبارها رومانطيقية منهجية كما هي عند الشاعر الغربي . ان طبيعة الشعر العراقي لا يمكن ان تكون الا كذلك اذا اراد الشاعر ان يصدق في نقل احساسه .

ان العراق فطر زراعي بالدرجة الاولى والصور الريفية تحيط الشاعر من كل جانب ، فكيف يستطيع التخلص من الريف والتأثر به ؟ والريفية اهم اسانيد احسان عباس كما انها اهم ما ورد في مقدمة وردت عن الفاظ الشاعر .

انني اميل الى ان اسميها واقعية ، لان فيها من عناصر الواقعية شيئا كثيرا ، فالشاعر يصف ما تراه عينه وما فيه من تصارع وتحفز ونظرات مستقبلية وحب الشعب ، ويبدو انهم استطاعوا تلبية نداء العلم في كثير من الفوائد ولكن هذا لا يعتبر حكما شاملا جامعا .

والمفروض في نقد الدكتور جميل سعيد وهو عميق الصلة بالشعر العراقي الجديد ان تكون فيه صفة دفاعية، ولكنه تحول الى طريقة اخبارية لم يفرح بها الكثير حتى ان احدهم اتهمه واتهم الدراسات الجامعية بتسكيرها للادب الحي . وتعني بالاخبارية انه القى محاضراته على طلبة قسم الدراسات الادبية في معهد الدراسات العربية العالمية بصفتها مخرجا ادبيا لاحدى الصحف. فكل ما كتبه عن حسين مردان - ولا اريد ان ادافع عنه -

مفتطفات من نشره ومعنطفات من شعره ، وجعله ممثلا ليار سسماه
بالتخلل من كل ما هو معدس ومخترم ، ونسبه بدون مشعه الى ابي
شبكة ثم الى بودلير . ويبدو ان في هذه النسبة حلقات مفقودة .

وان نقيسه لليارات الادبيه ، وخاصة في الشعر ، كان خاطئا لانه
يقوم على اساس الموضوع ، نيار سياسي ، ونيار اجتماعي ، ونيار غير
اخلافي . ومثل هذه الفكرة نطبق على كل ادب من آداب العالم مفغله
اسمات السائدة المميزة لكل ادب فومي .

ولشعر القاريء بقيمة ما انجزه الدكتور نفل فولا للانسون : -
« بفضل سلسل الصنائع نضع تاريخ العنون الادبية ، وبسلسل
الافكار والاحساسات نضع تاريخ التيارات العقلية والاخلاقية وبالمشاركة
في بعض الالوان وبعض المناحي الفنية المشتركة بين الكعب الني من نوع
ادبي واحد ومن نفوس مختلفة نضع تاريخ عصور الذوق » .

وبعد ، فان هذا الاستعراض الذي بوخينا فيه الاجاز نلاحظ انه لم
يكن نقدا موجها ولا بوجيهيا في اغلب مظاهره .

ويلاحظ ان النقد الذي تناول شعرنا اليوم لم يكن تفصيلا الا في بعض
المحاولات النادرة كدراسة احسان عباس لمركز البياني ومقارنته بالشاعر
الانجليزي ت.س. اليوت ولعله اراد ان يسبق الاخرين في الكتابة عن
شاعر له مستقبل ومجد .

وقد وعدنا سامي الدروبي بان يكتب عن « الحدث الكبير في تاريخ
الادب العربي » . ولعله يجد وقت الارتقاء الى القمم الشامخة .

وهناك نقد كثير تناول الشعر اليوم ، ولكنه لا يعدو كونه مجرد فذائف
ينداولها الشعراء فيما بينهم وان كان فيها حق كبير .

واحسن ما وجه من نقد للمدرسة المنطلقة حتى عد مصدرا من مصادر
دراستها ما كتبه نازك الملائكة في مجلة « الاديب » حول حركة الشعر
الحر في العراق .

- ٥ -

هذا مبلغ معرفتنا بعلاقة النقد الادبي بشعر العراق الحديث في اجياله
الثلاثة - ويبدو ان النقد التاريخي كان ضيق الرفعة قليل المفاهيم ، وان
النقد التجزئي اوسع منها واصدق احكاما ، اما نقد الاشارات فرحب
الافق ولكنه متفرق المحصول حتى ليبدو ضئلا . . وجميع النقد لم
يوجه الشاعر حتى في اروع صوره .

ونقلب روح المجامله على اكثر المقدمات الني صدرت بها الدواوين ،
وانعدام السعي من اجل حركة مدرسيه ما عدا مقدمة « شظايا ورماد »
و « اغاني الغابة » .

وابتدا النقد يهتم بالشخصية اكثر من اهتمامه بالانتاج وحقيقته ،
ثم اخذ هذا الاهتمام بالتناقص رويدا رويدا كلما اتجهنا الى الالونة الحاضرة
حيث اصبح الاهتمام بالشخصية يكاد يكون معدوما .

وكررت في الالونة الاخيرة محاولات نتحل سمات النقد ولا تعدو كونها
مجرد طرق للشعوذة والدجل ، كان يرسل المؤلف المزعوم رسائل لمن هب
ودب يسألهم تاريخ حياتهم ومختارات من شعرهم ثم يجمع اجوبة الرسائل
فتكون كتابا .

عبد الجبار داود البصري

العراق - البصرة

اخيرا

- احداث انتاج الفكر السياسي العالمي
- يخرج بالعربية مع ملايين النسخ بعشرات اللغات
- الحية .
- الكتاب الذي وصفه النقاد بأنه زلزال في
- صعيد الفكر السياسي .
- الكتاب الذي ينتظره المثقفون في العالم العربي

الطبقة الجديدة

تأليف

ميلوفان ديلاس

ترجمة

مروان الجابري

أثر سياسي رائع ولدته ازمة ضمير ادت بمؤلفه

الى السجن

من كتب المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

ص . ب . - - ٣٥١٥ بيروت لبنان